

Volume 22, No. 1  June Issue 2025

JOURNAL OF

Islam in Asia

A Refereed International Biannual Arabic – English Journal

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

إِنَّمَا
يَنْشِئُ
اللَّهُ
مِنْ
عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءَ



Journal of Islam in Asia

EDITOR-in-CHIEF

Abdul Salam @ Zulkifli bin Muhamad
Shukri

EDITOR

Noor Azlan bin Mohd Noor

ASSOCIATE EDITOR

Homam Altabaa

COPY EDITOR

Nur Mashitah Wahidah binti Anuar

EDITORIAL COMMITTEE

LOCAL MEMBERS

Abdel Aziz Berghout (IIUM)
Muhammed Mumtaz Ali (IIUM)
Nadzrah Ahmad (IIUM)
Rahmah Bt. A. H. Osman (IIUM)
Saidatolakma Mohd Yunus (IIUM)
Thameem Ushama (IIUM)

INTERNATIONAL MEMBERS

Abdullah Khalil Al-Juburi (UAE)
Abu Bakr Rafique (Bangladesh)
Anis Ahmad (Pakistan)
Muhammad Al-Zuhayli (UAE)

Articles submitted for publication in the *Journal of Islam in Asia* are subject to a process of peer review, in accordance with standard academic practice.

© 2025 by *International Islamic University Malaysia*

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, translated, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior written permission of the publisher.



E-ISSN: 2289-8077

مفهوم الأمة عند العلواني: رؤية عقدية ومعرفية تجديدية

The Concept of Ummah According to Al-Alwani: A Renewed Epistemic and Theological Perspective

Konsep Ummah Menurut Al-Alwani: Satu Perspektif Akidah dan Epistemologi yang Diperbaharui

فداء الدين السيد عيسى*، وعبد العزيز برغوث**

الملخص

يتناول البحث التوجهات الكبرى للدكتور طه جابر العلواني - رحمه الله - الذي يُعدّ أحد أبرز الفقهاء والمفكرين الإسلاميين في العصر الحديث في تطوير وتحليل مفهوم الأمة في الفكر الإسلامي المعاصر وعلاقته بإعادة بناء الأمة والكشف عن الخلفية المعرفية والأسس العقدية والفكرية التي قام عليها وبعض المراجعات التي دعا لها، كتناوله إحدى الجدليات التي تتعرض لها منصات التفكير والتحليل الإسلامي والعربي مثل جدلية الذات والآخر والتعددية والتعايش السلمي وفكرة المواطنة والعالمية وغير ذلك من الإشكاليات والمفاهيم التي قدّم فيها مقارنة منهجية ومعرفية من منظور فقهي ومقاصدي. ثم يختتم البحث ذلك كله بمجموعة من الأفكار التي تُلخّص أهم ما وصلت له الدراسة. وهذه المساهمة تسعى لتقديم مقارنة تُفسّر مفهوم الأمة من المنظور التجديدي للدكتور طه العلواني وإبراز تصوّره ومنهجيته في إثراء هذا المبحث، من خلال استخدام المنهج الاستقرائي والتحليلي انطلاقاً من مؤلفات الدكتور العلواني رحمه الله.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الأمة، رؤية عقدية، معرفية تجديدية، العلواني.

Abstract

The research examines Dr. Taha Jaber Al-Alwani's significant contributions to modern Islamic thought, focusing on his innovative perspective on the concept of the "Ummah" (community) and its connection to rebuilding. The study explores his

*طالب دكتوراه في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، معهد الفكر الإسلامي والحضارة (ISTAC- IIUM).

fidaaldin.alsayed.issa@gmail.com

**البروفيسور عبد العزيز برغوث عميد المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية (استاك).

cognitive background, ideological foundations, and reviews of key debates in Islamic and Arab thinking, such as self-other dynamics, pluralism, peaceful coexistence, citizenship, and globalism. Dr. Al-Alwani provides a methodological approach from a jurisprudential and purposive perspective. The research concludes by synthesizing key ideas, aiming to interpret the Ummah concept from Dr. Al-Alwani's innovative viewpoint, relying on an inductive and analytical approach based on his publications.

Keywords: Ummah, Theological Vision, Epistemic Renewal, Al-Alwani.

Abstrak

Kajian ini meneliti sumbangan penting Dr. Taha Jaber Al-Alwani terhadap pemikiran Islam moden, dengan memberi tumpuan kepada perspektif inovatif beliau mengenai konsep "Ummah" (komuniti) dan kaitannya dengan usaha pembinaan semula. Kajian ini mengupas latar belakang kognitif dan asas ideologi beliau, serta mengkaji perbincangan utama dalam pemikiran Islam dan Arab, seperti dinamika diri dan pihak lain, pluralisme, kewujudan bersama secara aman, kewarganegaraan, dan globalisme. Dr. Al-Alwani menawarkan pendekatan metodologi dari sudut fiqh dan maqasid. Kajian ini merumuskan idea-idea utama dengan tujuan mentafsir konsep Ummah dari sudut pandang pembaharuan Al-Alwani, melalui pendekatan induktif dan analitis berdasarkan karya-karya beliau.

Kata Kunci: Ummah, Visi Teologi, Pembaharuan Epistemik, Al-Alwani.

مقدمة

إنَّ تبَيَّنَ سبل إصلاح منظومات الفكر والوعي في الأمة الإسلامية يقتضي بالضرورة استقراء مفهوم الأمة ابتداءً ووضع أسس مُرتبطة بالهوية وذات صلة بالمجال المعرفي الذي يُؤسس لمرجعية تأسيسية، ومقاصدية، ومضامين ذات بُعد منهجي، والاقتراب بما قدّمه العلماء والمفكرون والمصلحون في هذا السياق. إذا كان الدكتور طه جابر العلواني قد اشتغل بفكرة إسلامية المعرفة والإصلاح الفكري والفقهية، فإنَّ اهتمامه بإعادة الوعي لمفهوم الأمة كان بارزاً بجلاء في كثير من كتاباته. كما ظلَّت أفكاره محلَّ نقاش في فضاءات الفكر والإصلاح والمعرفة الغنية بالأفكار النظرية والتجارب العملية.

يتناول هذا البحث دور الدكتور طه جابر العلواني في تحليل مفهوم الأمة ومساهمته الفعّالة في معالجة البُعد المعرفي والإيماني للأمة في العقل المسلم. كما يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على مفهوم إعادة بناء الأمة في منظور الدكتور العلواني، محلاً للخلفية المعرفية والأبعاد العقدية والفكرية التي قام عليها. يتم التركيز بشكل خاص على تحليله للإشكالية الفكرية في مقارنة مفهوم الأمة، وجدل المواطنة والتعددية والعالمية وغيرها من المفاهيم المهمّة في هذا الجانب، كما يتبع البحث منهجاً وصفيّاً تحليليّاً يهدف تحليل الأبعاد المركزية.

الإشكالية

يرتكز هذا البحث على الإجابة عن إشكالية أساسية يمكن صياغتها كالآتي: ما مفهوم الأمة في فكر الدكتور طه جابر العلواني؟ وتتفرع عنها تساؤلات فرعية أهمّها: ما هي الخلفية المعرفية لهذا المفهوم؟ وما هي الأسس العقدية التي قام عليها؟ وما هي أهم المراجعات التي دعا لها في هذا الإطار؟

أهداف البحث

يرمي هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الأساسية التالية:

- 1- بيان مفهوم الأمة.
- 2- بيان مفهوم إعادة بناء الأمة عند الدكتور طه جابر العلواني.
- 3- الكشف عن أهم الأسس العقدية والفكرية التي قام عليها مفهوم إعادة بناء الأمة لدى الدكتور طه جابر العلواني.
- 4- الإشارة إلى أهم المراجعات التي دعا لها الدكتور طه جابر العلواني في هذا الإطار.

منهج البحث

للإجابة عن إشكالية البحث وتحقيق الأهداف المرجوة منه، اعتمد المنهج الاستقرائي التحليلي، اعتماداً على ما ألفه الدكتور طه جابر العلواني ممّا له علاقة بالموضوع، حيث تم

تحليل تلك النصوص واستنتاج الأفكار المتعلقة بالورقة البحثية، مع مراعاة الترتيب المناسب لها. وقد تم تقسيم البحث إلى مطلبين اثنين:

- الأول: في التعريف بمصطلحات العنوان كالأمة وبيان مفهوم إعادة بناء الأمة، وتعريف الرؤية العقدية والمعرفية لدى العلواني، وترجمة موجزة للدكتور طه جابر العلواني رحمه الله.
- الثاني: تم تناول أهم الأسس العقدية والمعرفية المتعلقة بمفهوم إعادة بناء الأمة في فكر الدكتور طه جابر العلواني.

1. المطلب الأول: التعريف بمفاهيم العنوان وبالدكتور العلواني

يتناول هذا المبحث المطالب الآتية، التعريف بمفاهيم ومصطلحات البحث الرئيسية، كمفهوم الأمة لغة واصطلاحاً بشكل عام، وعند العلواني بوجه خاص، ثم توضيح العلاقة بين مفهوم الأمة ومفهوم إعادة بناء الأمة، ثم تقديم ترجمة موجزة عن الدكتور طه جابر العلواني رحمه الله، ثم التعرّيج على ماهية الرؤية العقدية والمعرفية للأمة عند العلواني.

الفرع الأول: تعريف مفهوم الأمة، ومفهوم إعادة بناء الأمة

- معنى الأمة لغة لفظ (الأمة) مشتق من الجذر اللغوي (أَمَمَ)، والأُمَّ (بالفتح): القصد، أُمَّهُ يُؤَمُّهُ أُمَّاً إذا قصده، وتِيَمَّمْتُهُ: قصدته. ويقال: أَمَّمْتُهُ وَأَمَّمْتُهُ وتَأَمَّمْتُهُ وتِيَمَّمْتُهُ بمعنى واحد، أي تَوَحَّيْتُهُ وقصدته. وجمل مِئَمٍّ: دليل هادٍ، وناقَة مِئَمَّةٌ كذلك. وكله من القصد، لأن الدليل الهادي قاصد. والأُمَّ: العَلَمُ الذي يتبعه الجيش. والأُمَّةُ: الحالة. والأُمَّةُ: الشريعة والدين، والطريقة. يقال: فلان لا أُمَّة له، أي لا دين له ولا نَحْلَة. والأُمَّةُ: السُّنة. وأُمَّ القوم، وأُمَّ بهم: تقدّمهم، يراد بذلك الإمامة. والإمامُ: كل من ائْتَمَّ به قوم. والأُمَّةُ: الإمام. والأُمَّةُ: الائتِمام بإمام. والأُمَّةُ أيضاً: النعيم، والحال والشأن. والأُمَّةُ: القرن من الناس. يقال: قد مضت أُمَّم، أي قرون. وأُمَّة كل نبي: من أُرسل إليهم من كافر ومؤمن. وكل جيل من الناس هم أُمَّة على حدة. والأُمَّةُ:

الجيل والجنس من كل حي. وهي أيضاً: الرجل المتفرد بدين. والأُمَّة: المُعَلِّم، وقيل: الرجل الجامع للخير. وأُمَّةُ الله: خلقه. يقال: ما رأيتُ من أُمَّةِ الله أحسنَ منه.¹ وقد عرّف الراغب الأصفهاني لفظ الأُمَّة ابتداءً، فقال: "كل جماعة يجمعهم أمر ما، إمّا دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، وسواء كان ذلك الأمر الجامع تسخييراً أو اختياراً".² وقال أبو البقاء الكفوي: "الأُمَّة بالضم، في الأصل: المقصود، كالعمدة والعدة في كونهما معموداً ومعداً، وتسمى بها الجماعة من حيث تؤمها الفرق".³

- معنى الأُمَّة لغة عند العلواني

يُناقش الدكتور العلواني مفهوم الأُمَّة لغوياً باعتبارها محدودة المعنى، فيقرّر أنّ مفهوم الأُمَّة في اللغة العربية محصور المعنى تقريباً: فهو لا يعدو (الجماعة) على حدّ وصفه، لكن الشارع جعل مفهوم الأُمَّة يتضمن مجموعة أمور قد تبدو أول وهلة مفاهيم مستقلة لكنها — عند النظر والتفحص — لا تنفصل عن بناء هذا المفهوم الشرعي بحال، فوحدة الأُمَّة واستقلالها، ونخصتها، وعمرانها وشهودها الحضاري، وقوتها، وولاؤها للإيمان وأهلها، وبرائها من الكفر وأهلها، كل تلك الأمور تُعتبر مضمنة في مفهوم (الأُمَّة) بمعناه الاصطلاحي.⁴

ثم يُفسّر العلواني موقع هذه الأُمَّة من الأمم الأخرى كموقع رسول الله ﷺ منها. فموقعها من الأمم — من وجهة نظر العلواني — هو موقع الشهادة والخيرية والتركية والتعليم والقيادة. ويُشدّد ألا يغيب هذا المفهوم عن البال، فموقع رسول الله ﷺ من الأُمَّة موقع الشاهد

¹ جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب ، (بيروت: دار صادر، 1956م) مادة: أُمم، ج 1، ص 213-215.

² الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: سيد كيلاني (بيروت، دار المعرفة، 2008م) مادة: أُم، ص 22.

³ أبو البقاء الكفوي، الكليات، (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 1998م) ص 181.

⁴ طه جابر العلواني، الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع،

2003م)، ط 1، ص 228.

عليها والمعلم لها والمربي والمزكي والمطهر لنفوسها وقلوبها، وهو في الوقت ذاته رؤوف رحيم بنا وبها.⁵

وبالقوة نفسها يُنبّه الدكتور العلواني إلى أنّ مفهوم الأمة يأبى الفرقة وضعف الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وضعف البراء من أعداء الله ورسوله والمؤمنين. ويأبى مفهوم الأمة كذلك بمفهومه الشرعي الدلة والضعف ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: 8). ويأبى الجهل المطبق، والمرض أو الضعف بكل أنواعه وبكل مفاهيمه، لأنّ هذه (الأمة) لها دور وموقع لا يُمكن أن تؤديه إلا وهي متمثلة بكل خصائص القوة والقدرة وتجاوز العجز. ويأبى مفهوم (الأمة) كذلك الظلم والطغيان بكل أشكاله، والاستبداد بكل دركاته.⁶

- المعاني الاصطلاحية لمفهوم الأمة

قد ورد لفظ (الأمة) اسماً مفرداً بالتنكير والتعريف في القرآن سبعاً وأربعين مرة، كما ورد لفظ (أُمَّتُكُمْ) مرتين، وورد بصيغة الجمع اثنتي عشرة مرة، منها (الأُمم) بالتعريف في موضع واحد. وقد ذكر البدرى في بحثه مواضع ورود لفظ الأمة في القرآن على النحو الآتي: 7:

- 1- منها ما ورد على سبيل جماعة من الجنس البشري: ﴿إِنَّ النَّاسَ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (البقرة: 213)، ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: 159)، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ (يونس: 47).

⁵ طه جابر العلواني، الأمة الإسلامية وقضاياها الإستراتيجية، (مكتبة العلواني الإلكترونية: 29 ديسمبر 1990م)، ص2-3.

⁶ مقدمة العلواني في كتاب الدكتور منى أبو الفضل، الأمة القطب: نحو تأصيل منهجي لمفهوم الأمة في الإسلام. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، ص 14.

⁷ توفيق البدرى، بحث مفهوم الأمة وأوصافها في القرآن، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلة اسلامية المعرفة، 2017م) ع94.

2- ومنها ما ورد للتدليل على الجماعات من الأحياء والكائنات من غير جنس البشر: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ (الأنعام: 38).

3- ومنها ما ورد للتدليل على جماعة من الناس مستسلمة لله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (البقرة: 128).

4- ومنها ما أشار إلى أمة محمد ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: 143).

5- ومنها ما ذكر على سبيل الجماعة من الناس: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (القصص: 23).

6- ومنها ما كان يقصد به المدة الزمنية: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ (هود: 8).

7- ومنها ما ورد على سبيل الدين والملة: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾ (الزخرف: 22).

8- وكذلك ما ورد للتدليل على رجل جامع للخصال الحميدة: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: 120).

9- ومنها ما قصد به جماعة المسلمين الموحدة المجتمعة على الحق: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ (الأنبياء: 92).

وللأمة تعاريف اصطلاحية متعددة، منها تعريف الكواكبي لمفهوم الأمة باعتبارها الجماعة الشاملة للمؤمنين برسالة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وأن الأمة لديه، هي مجموعة من الأفراد يربطهم النسب أو الوطن أو اللغة أو الدين، ويعتبر الكواكبي الاستبداد آفة تهدد الأمم بغض النظر عن دياناتها. وقد وضع مجموعة من الروابط التي تكوّن الأمم كاللسان والمكان

والدين، وكذلك رابطة النسب، ورابطة الحقوق المشتركة، ورابطة الجامعة السياسية الاختيارية.⁸ يرى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أن قيام الأمة واستمرارها يرتبط بتثبيت مقوماتها كالجنس، واللغة، والدين، والتقاليد، والعقيدة، والاعتزاز بالذات، مؤكداً أن الأمة لا تقوم إلا بهذه الأسس، فإن فقدت فقدت وجودها. ويؤافقه الدكتور محمد عمارة، مقدماً تعريفاً جامعاً لمكونات الأمة، يراه ثمرة للمنهج العلمي، وصالحاً للاستخدام في السياقين العربي والإسلامي، فيقول: "الأمة جماعة ثابتة من الناس تكونت تاريخياً، ليست عرقية ولا قبلية، لها لغة مشتركة، وأرض مشتركة، وحياة اقتصادية مشتركة، وتكوين نفسي مشترك يجد له انعكاساً في الثقافة المشتركة".⁹

أما في رؤية أبي الأعلى المودودي، تتميز الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي عن باقي الأمم بسبب عامل أساسي. إذ بينما يرى البعض بأن الأمم والمجتمعات الأخرى تكونت نتيجة لأحداث غير متوقعة وعوامل تاريخية، يرى المودودي أن السبب الرئيسي والمحوري وراء نشأة الأمة المسلمة والمجتمع الإسلامي هو الإرادة الشخصية والاختيارية المنبثقة من استجابة الفرد لأمر الله. تتمثل هذه الاستجابة في تأسيس اتفاق بين الله تعالى وعباده بناءً على وعي من العباد بهذا الاتفاق وتفهمهم لمضمونه. ضمن هذا الاتفاق، يتفق الأفراد على أن الله هو القاضي الأعلى لهم، وأن هديه هو الدستور الأساسي لحياتهم. وتعتبر أحكام الله هي القوانين الرئيسية التي تحكم حياتهم، والخير هو ما يوجههم إليه، بينما يتجنبون الشر الذي يُنهون عنه. وبالتالي، يكونون مستعدين فقط لاعتماد المعايير والأنظمة الصحيحة الصادرة من الله لتحديد ما هو جائز وما هو غير جائز.¹⁰

بينما تُناقش الدكتورّة منى أبو الفضل ضرورة استخراج مفهوم الأمة من مُحيط الردود العاطفية إلى دائرة المدركات الواعية. وتشير إلى أن مفهوم الأمة في التراث الإسلامي لم يحظ

⁸ ناصيف نصار، تصورات الأمة المعاصرة، دراسة تحليلية لمفاهيم الأمة في الفكر الحديث والمعاصر، (الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1986م)، ص 29-38.

⁹ محمد عمارة، الأمة العربية وقضية الوحدة، (بيروت: دار الوحدة للطباعة والنشر، 1981م) ط3، ص 62-63.

¹⁰ أبو الأعلى المودودي، الدستور الإسلامي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1975م)، ط1، ص 19.

بدرجة وافية من الدراسة والبحث، وأنّ الدراسات القليلة التي ناقشته جاءت بأقلام غير مألوفة. كما تلفت القارئ إلى التشابك بين الأمة ككيان جماعي في الإسلام وبين هويات جماعية أخرى. ولم تقتصر في بحثها على دراسة نشأة هذا المفهوم عند جذوره فقط، بل تحدّثت عن العقيدة والوحدة وخصائص التنوير الحديث، وتعرّف الدكتورة منى الأمة بأنها: "الجماعة القيادية المميزة ذات القدرة الاستقطابية العالية التي تؤدي إلى آثار مزدوجة من حيث تماسكها الداخلي وانفتاحها على الغير بحيث تصير نقطة إشعاع وجذب على المستوى الداخلي ومركز احتواء وصهر على المستوى الخارجي".¹¹ وأما في نظر الدكتور لؤي صافي، الذي يرى الأمة كمركز للبنية السياسية الإسلامية، وتجمّعاً لتفاعلات الأفراد والجماعات الإسلامية. ويُفهم من خلال هذا التعريف أنها تشكل المحيط الاجتماعي الإنساني الذي يسمح للأفراد بممارسة الفعل الإيماني وتحقيق هدف وجودهم. هذا يعني أن الأفكار والقيم لا يمكن تجسيدها في أفعال إلا من خلال التفاعل والتعامل بين الأفراد والجماعات الذين يتفقون على رؤيتهم المشتركة للحياة والهدف من وجودهم، ويتعهدون بمنظومة قيم مشتركة.¹² تتقاطع هذه الرؤى مع طرح الدكتور عبد العزيز برغوث في تأكيده على الوظيفة الحضارية للأمة الإسلامية، وضرورة امتلاكها الوعي الذاتي والبناء المؤسسي والفكري الذي يمكنها من أداء رسالتها كشاهد حضاري في محيطها الإنساني.¹³

- العلاقة بين مفهوم الأمة ومفهوم إعادة بناء الأمة عند العلواني

يُبيّن العلواني أن سقوط الخلافة عام 1924م أدى إلى تفكك العالم الإسلامي إلى كيانات مستقلة ذات هويات قومية، ما أسهم في تراجع فكرة الأمة، وظهور وعي جديد يحول دون

¹¹ منى أبو الفضل، الأمة القطب، ص 10-15.

¹² لؤي صافي، العقيدة والسياسة، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، 1996م) ط1، ص 81.

¹³ عبد العزيز برغوث، الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، روافد، 2007م) ط1، ص 37-29.

بعثها. وقد رُوج للانتماء إلى أصول حضارية ما قبل الإسلام، مما عمّق الانقسام والانشطار. ورغم أن فكرة الأمة غابت عن الوعي العام، إلا أنها بقيت حاضرة في قلوب القلّة ﴿وَالَّذِينَ يُسْكِنُونَ بِالْكِتَابِ﴾ (الأعراف: 170)، ويرى العلواني أن هذا التدهور غير مسبوق، ويستعرض مجموعة من الظواهر التي ظهرت نتيجة لهذا المسار، قام بتحليلها ومعالجتها ضمن مشروعه الفكري، على النحو الآتي:¹⁴

1. تمزّق الكيان الحضاري الاجتماعي للأمة.
2. التخلّي عن المنهاج والشرعية الإسلاميين، واتّخاذ بدائل وضعية بدلاً عنها.
3. الارتداد للأصول الحضارية الضيقة والقديمة والتخلّي عن مفهوم الأمة.
4. التمايز والمفاضلة بين العربي وغيرهم من الأطراف المكوّنة لجسد الأمة.
5. قيام (دولة إسرائيل).
6. الهيمنة الغربية الشاملة على المنطقة العربية وتفتيتها وفرض أنظمة غريبة عليها.
7. بعد ذلك قام الغرب بتوظيف متتالية ثلاثية تقوم على التبشير والاستشراق وتوظيف العلوم الاجتماعية الحديثة ممّا ساهم في تفكيك الأفكار والمعتقدات والأديان.
8. هنا دخلت الأمة العربية في مرحلة الإدماج والتبعية الشاملة للنظام العالمي المنبثق عن سايكس بيكو ثم النظام العالمي بعد الحرب العالمية الثانية، ثم النظام العالمي الجديد.
9. ثم يذهب الدكتور العلواني نحو مناقشة أهم التحديات التي يمكن أن تواجه أي أمة أو شعب والتي تتمثّل من وجهة نظره في:
 - أ. فقدان شرعيتها.
 - ب. وتراجع تأثير وفاعلية أفرادها.
 - ت. وضعف العوامل الحضارية التي تدعم تقدمها.

¹⁴ ندوة التعددية الحزبية والطائفية العرقية في العالم العربي، واشنطن 26-30 نوفمبر 1993م.

ث. في هذه الحالة على حدّ تعبيره، فإنّه يسيطر عليها التقليد الأعمى والتمسك بالماضي أو الاتجاه نحو الذوبان في نموذج مستورد.

10- عندما تفقد الأمة قدرتها على تفعيل إمكانياتها الداخلية، وتواجه تجهيلاً وتخريباً معرفياً وحضارياً ممنهجاً، تصبح النخبة الواعية مسؤولة عن إعادة بنائها فكرياً ومعرفياً، لإحياء هويتها العقلية والنفسية واستعادة قوتها. تبدأ هذه المهمة بفهم عناصر الأمة وخصائصها وتشخيص واقعها بدقة، وتفادي القراءات الخاطئة التي قد تُفضي إلى علاجات غير مجدية، تؤخر نهضتها وتُضيّع فرص التقدم الحضاري.

الفرع الثاني: ماهية الرؤية العقدية والمعرفية للأمة عند العلواني

لا يُمكن الحديث عن الرؤية العقدية والمعرفية للأمة عند العلواني في هذا السياق دون الرجوع لما كتبه الدكتور منى أبو الفضل في هذا الباب الذي يُشدد على أهمية التعامل مع مفهوم (الأمة) على نحو خاص. إذ حاولت الدكتورة منى أبو الفضل توضيح هذا المفهوم في كتابها (الأمة القطب)، نحو تأصيل منهاجي لمفهوم الأمة في الإسلام)، والذي قدّم له الدكتور العلواني. إحدى الجوانب الرئيسة التي سلّط الضوء عليها في هذا السياق والمتعلقة بموضوعنا هي (العقدية) و (المعرفية) في مفهوم الأمة. حيث تشير منى أبو الفضل إلى أن الأمة ترتبط بظهور المجتمع المسلم بناءً على الإيمان بوحداية الله، وهي تستمر بغض النظر عن وجود تنظيم سياسي محدد. الأمة تُعدّ وعاءً للقرآن ومستودعاً للرسالة المحمدية، ولكنها ليست محصورة بصفات معينة مسبقاً. وهذا يعني أن هناك اختلافاً بين كون شخص مسلم وكونه جزءاً من الأمة الإسلامية. بينما يمكن للفرد أن يصبح مسلماً بمجرد ولادته، ويتطلب كونه جزءاً من الأمة الإسلامية تبنياً لقيم الإيمان والشهادة والالتزام برسالة القرآن والمشاركة الفعّالة في دور الأمة الوسطى.¹⁵

¹⁵ منى أبو الفضل، الأمة القطب.

قدّم الدكتور العلواني رؤية فكرية ناقدة لأزمة الأمة المعرفية، مشيراً إلى أن اختلاطها بين المشترك الإنساني وخصوصياتها الملية أدى إلى استيراد غير واعي للمفاهيم والمصطلحات، مما أفقدها بوصلتها الشرعية والمنهجية، وأدخلها في حالة من الارتباك والميوعة الفكرية. ويرى العلواني أن هذا التراجع يستدعي نقداً وتجيدياً. ويستند في رؤيته إلى تعليم الله لآدم "الأسماء كلّها"، باعتباره تأسيساً لمهمته العمرانية، ومن تلك الأسماء مفاهيم أساسية كالألوهية والعبودية والزوجية والأبوة والأخوة، وهي التي تشكل قاعدة النواة الاجتماعية للأمة، وتؤسس لتراكم معرفي متصل بالرسالة والتراث، ومنفتح على الإبداع والاجتهاد.¹⁶

الفرع الثالث: ترجمة الدكتور طه جابر العلواني ومظاهر اهتمامه بمفهوم الأمة

- السيرة والمسيرة

بمدينة الفلوجة العراقية، كانت ولادة طه جابر العلواني عام 1935م، وبها تلقى تعليمه الأولي فيها، ليستكمل دراسته ببغداد، ثم بالقاهرة التي حصل بها على جميع شواهده من الثانوية الأزهرية، والليسانس، مروراً بالمجستير، ووصولاً إلى الدكتوراه بجامعة الأزهر عام 1973م في تخصص أصول الفقه، من خلال تحقيقه لكتاب (المحصول في علم أصول الفقه) للرازي (ت 606 هـ).¹⁷

- مظاهر اهتمام العلواني بالأمة وإعادة بناء الأفكار والمفاهيم

وفقاً لمسيرة الدكتور العلواني الفكرية والأكاديمية تُعتبر عملية بناء المفاهيم من أهم الخطوات في تأسيس المعرفة العلمية. يُعتبر المفهوم البنائي الأساس الذي تستند إليه أيّ أمة في بناء هياكل الأفكار والنظريات. فإذا لم تتوافق هذه المفاهيم مع المتطلبات المحددة وتصويف مضامينها

¹⁶ طه جابر العلواني، بناء المفاهيم، دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1998م)، ط1، ص 7-11.

¹⁷ إبراهيم سليم أبو حليوة، طه جابر العلواني: تجليات التجديد في مشروعه الفكري، (بيروت: منشورات مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2011م)، ط1، ص 19.

بشكل صحيح، فقد تنهار النظريات المبنية عليها كهيكل ضعيفة تحبها الرياح، وهذا يؤكد أيضاً أن حالة المفاهيم تعكس الوضع الحضاري الذي يمر به أي شعب، حيث يُظهر أول علامات الانحدار عن المفاهيم. يصبح لديها مستوى عام وغامض، وتصبح عرضة للتفسيرات المتعددة، مما يؤثر إلى حدٍ بعيدٍ على عمليات الفهم والتفكير في الأمة. ولذلك تتناقص إمكانيات الحوار المشترك بين أفراد الأمة والقدرة على النقد والتقييم. ونتيجة لذلك، تصبح المفاهيم عرضة للاختراق من قبل المفاهيم الأخرى الواردة من الخارج.¹⁸

يُشير العلواني في ندوة حول التعددية في العالم العربي (واشنطن، 1993م) إلى أن العربي قد تقبل الارتداد إلى أطره الإقليمية، وبدأ يبرره بإحياء هويات ما قبل الإسلام؛ فالمصري يستدعي الفرعونية، والعراقي البابلية، والشامي الفينيقية، مما أدى إلى انقسام البلاد العربية إلى أقطار ذات حدود وديساتير وهوية مستقلة، تشبه حالة ما قبل الإسلام حين كانت العصبية القبلية والبداءة هي السائدة. غير أن تلك البداءة كانت لا تزال تحتكم إلى موروث إبراهيمي مشترك، كالإيلاف والأشهر الحرم وموسم الحج، بعكس الإقليمية الحديثة التي تفتقد هذا الرابط القيمي. يرى الباحث أبو حليوة أنّ للعلواني منطلقاته التي ضمّنها في مشروع إسلامية المعرفة والتي يذهب فيها لضرورة: "إعادة تشكيل العقل المسلم المستنير، القادر على أداء رسالته، وممارسة دوره في الاجتهاد والتجديد وال عمران الإنساني، وتأهيل المسلم لدور الاستخلاف وبناء القدرة لديه على التسخير، وذلك من خلال جولاته الفكرية والثقافية، واكتشاف سنن الله في الأنفس والآفاق، لامتلاك إمكانية التسخير".¹⁹

¹⁸ العلواني، بناء المفاهيم، دراسة معرفية ونماذج تطبيقية.

¹⁹ أبو حليوة، طه جابر العلواني: تجليات التجديد في مشروعه الفكري، ص 56.

المطلب الثاني: الرؤية العقدية والمعرفية المرتبطة بالأمة عند العلواني

وضع الدكتور طه جابر العلواني مجموعة من الأسس التي تسعى لتحقيق التدافع المطلوب لإعادة بناء الأمة القطب وفق تعبير الدكتور منى أبو الفضل كما ذكرنا آنفاً، ويذهب الدكتور العلواني إلى أنّه لا يمكن البدء بإعادة بناء الأمة دون الكشف عن خصائص الوعي التي يمكن أن يقدمها القرآن العظيم لهذه الأمة، فبذلك يمكن أن تبدأ الأمة حالة (استعادة الوعي) الذي يقوم على (فهم القرآن) وإدراك معانيه في مستوى السقف المعرفي الراهن، مضافاً إليه (المنهج القرآني) مع إدراك (الخصائص العالمية المعاصرة)، إذ يعد العلواني هذه الخصائص أساسية في عملية إعادة بناء الأمة مع مصاحبتها بالعزيمة والإرادة والتصميم على التسلّح بها، فإنّ (استعادة الوعي) في هذه الحالة تصبح على طرف التمام، أو تصبح مسألة وقت. يعتبر الدكتور العلواني أنّ عقلية الإنسان الذي سوف يحمل أعباء إعادة الوعي للأمة، وتحقيق (الكونية الإسلامية المرتقبة) سوف تتشكل بمنهجية القرآن المعرفية، وبخاصة مفهوم (الجمع بين القراءتين) الذي فصل فيه العلواني في أكثر من مقام.²⁰

وبناءً على هذا، فهو يرى - العلواني - أنّ طريق وحدة الأمة، وإعادة بنائها، والعروج بها إلى مدارج الارتباط لن يتم إلا بإدراك حقيقة دور الكتاب الكريم في حياة الأمة، ومعرفة دور النبي ﷺ في تلاوة الكتاب حق التلاوة، وتعليم الناس إياه، وبناء الأمة به، وصياغة الواقع بنور آياته. وإلا فإنّ حالة الأمة سوف تظل تنزل من درك لآخر، ومن سيئ لأسوأ.²¹ ويؤكد بإلحاح أنّ الأمة هي صاحبة الحق الأصيل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس الحاكم، أو الدولة، ولا الفرقة، أو الطائفة.²² وأنّ "إقامة الأمة أصل، وإقامة الدولة فرع عنها، وليس

²⁰ العلواني، الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر.

²¹ طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2014م)، ص

108.

²² طه جابر العلواني، من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2017م)، ص

320.

العكس، وقيام الدولة التي توصف بأنها إسلامية، دون أن تكون ناظرة نحو الأمة سوف يكون مُعطلاً لحركة الدعوة والأمة معاً؛ لأنها لن تكون إلا دولة الفرقة، أو الطائفة، أو الجماعة، أو القبيلة، أو الأسرة؛ مما يكرس تعارض المصالح، ويعمق الصراعات".²³

ثم يؤكد الدكتور العلواني في كتابه (من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف)، أنّ ما يريد الخلوص إليه من كل ما سبق هو أنّ منهجية التغيير وعملية إعادة بناء الوعي في الأمة التي يجب التحرك في الواقع المعاصر طبقاً لها، لا بد أن تتأسس على المبادئ الأربعة الآتية:²⁴

- المبدأ الأول: حاكمية الكتاب القائمة على دعامتين هما:
 - أنه المصدر المنشئ للإسلام، والمهيمن على ما سواه.
 - وأن حاكميته تتحقق بقراءة بشرية تسدّد وتقارب.
- المبدأ الثاني: ضرورة الانطلاق في قراءة الواقع من منظور الأمة الكُلّي، لا من منظورات فرقية جزئية عصبوية، أو سلطوية تختزل الأمة في الفرد.
- المبدأ الثالث: ضرورة التحرر من أسر الرؤى السكونية والماضوية التي ترى أنّ تطبيق الإسلام مرهون باستدعاء أنساق تاريخية.
- المبدأ الرابع: أنّ الإسلام لا يعرف الطوبيا، فلن ينطبق المثال على الواقع تماماً، فعلى المسلم أن يبقى في حركة دؤوبة ومتجددة لا انقطاع لها من الباطل إلى الحق.

الفرع الأول: الأسس العقدية الكبرى المرتبطة بمفهوم الأمة عند العلواني

انطلاقاً من النص التأسيسي السابق للأسس والمفاهيم العقدية والفكرية التي سعى العلواني لتثبيتها فيما قدّم من مراجعات تتعلّق بإعادة بناء الأمة، فإنّه ينبغي التوقّف لتحليل مجموعة من الأسئلة التي طرحها الدكتور في أثناء بحثه في التراث عمّا يُمكن أن يُساهم في تقديم

²³ المرجع السابق، ص 331.

²⁴ المرجع السابق، ص 354 - 355.

مراجعة علمية وتنشئة منهجية متكاملة لعملية بناء الأمة وإعادة وعيها ووضع معايير واضحة لتلك المراجعة، ويذهب العلواني لأبعد من ذلك، إذ يُقرّر أنّه لا بد أن يتم ذلك وفقاً لمقاييس صارمة مطردة منعكسة لا تحابي أحداً، ولا تجامل فرقة ناجية أو هالكة. وهذه المقاييس المقترحة للمراجعة حدّدها العلواني من خلال طرح الأسئلة التالية:²⁵

- كيف خلق الله هذه الأمة وما هي خصائصها التي يضمن بها استمرارها، أو يزرع فيها عناصر التجديد والانهيار؟
- كيف يمكن تصحيح العقيدة والرؤية لتكونا محركاً لتوليد وعي ديني حيوي، وتحقيق توازن بين سلامة العقيدة والرؤية وقوانين الله والطاقات الإنسانية؟
- كيف يمكن مراجعة الحالة العقلية والنفسية للأمة للكشف عن العناصر السلبية وتطهير العقلية والنفسية منها؟
- كيف يمكن إدراك تأثير فعل الزمن في تغيير مستويات القوة وضمان استمرار التوازن؟
- كيف يمكن تحقيق إدراك للعلاقات الجدلية بين الغيب والإنسان والكون لتحفيز حالة من التجديد والتحسين؟

ثم يُؤكّد العلواني أهمية الإجابة عن هذه الأسئلة لتحديد العلاقة بينها وتوضيح الأسس الإيمانية التي تُنظّم هذه العلاقة فيقول: "فالغيب والإنسان، قضايا أساسية مطلوب تحديد العلاقة بينهما بدقة ووضوح، فالإنسان سوف يكون مشلولاً، أو نصف مشلول في أداء دوره ووظيفته، إذا لم يفهم ويدرك طبيعة هذه العلاقة بين الأطراف الثلاثة، أو تنظيم العلاقة بينهما، فلو اختلفت العلاقة بين الغيب والإنسان، لا يستقيم أمر الدين والدنيا. ولو اختلفت العلاقة بين الغيب والطبيعة والإنسان يحدث الخراب نفسه."²⁶ فالعقيدة إذن من المنطلق العلواني تشكل دعامة أساسية وقاعدة جوهرية لنظام معرفي شامل، لأنّها توفر نموذجاً شاملاً يساعد

²⁵ طه جابر العلواني، تفكّك مفهوم الأمة وضرورة المراجعة (مقال)، تاريخ الولوج: 03-03-2024.

<https://alwani.org/?p=10194>

²⁶ طه جابر العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة، (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م)، ص 40.

على تشكيل النماذج الفرعية والمناهج المختلفة. يُشير العلواني لدلالة القرآن على أهمية هذا الأساس حيث قال الله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: 48). أي أنّ الله هو من وضع وأسس المعرفة، وعلم الإنسان ما لا يعلم، وأرسل الرسل، وأنزل الوحي واصطفى الملائكة والأنبياء. هذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: 31)، وبناءً على ذلك يضع العلواني قاعدة أساسية في هذا الباب مفادها: أنّ النظام المعرفي الذي يقوم على العقيدة يُقدم نموذجًا شاملاً يجب عن الأسئلة الأساسية، وتُعدّ العقيدة الإسلامية أساسًا صالحًا لبناء هذا النظام المعرفي وتوفير رؤية ونموذج للتاريخ.²⁷

وفي هذا السياق، يُقدّم الدكتور عبد العزيز برغوث رؤية متكاملة تتلاقى في مضامينها مع ما طرحه الدكتور العلواني، إذ يؤكّد على أهمية البعد العقدي والفلسفي في تشكّل الأمة الإسلامية انطلاقًا من جذورها الإبراهيمية. ويشير برغوث إلى أن البناء الإسلامي للأمة ينطلق من العمل الإبراهيمي والإسماعيلي التأسيسي، والدعاء الإبراهيمي المستقبلي، الذي يعكس تطلّعًا إلى إقامة نموذج حضاري شامل للأمة الإسلامية. ويرتبط هذا النموذج ببعثة النبي الخاتم، وبالرسالة التي جاء بها من تلاوة للآيات وتعليم للكتاب والحكمة وتركيزًا للنفوس.

ويذهب الدكتور برغوث إلى التأكيد على أن الملة الإبراهيمية الحنيفية تمثل القانون الفطري والديني الكوني الذي يحكم جدلية التدين في هذا العالم، وأن الانحراف عنها يعني الاصطدام بمنطق الفطرة وفلسفة الدين، بما يؤدي إلى السفه والعصيان. كما يُبرز الخصائص العقلية والنفسية الإبراهيمية التي تؤهّل الأمة للاصطفاء الدنيوي والصالح الأخروي، مشدّدًا على مركزية هذا الأساس العقدي في بعث الأمة واستئناف دورها الحضاري²⁸. وبذلك يلتقي الطرح العقدي والفكري عند كل من العلواني وبرغوث في بناء تصور شمولي يربط بين التأسيس

²⁷ المرجع السابق، ص 50.

²⁸ برغوث، الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة، ص 75-78.

العقدي والمعرفي، واستعادة فاعلية الأمة في التاريخ من خلال وعيها بذاتيتها الحضارية ورؤيتها الكونية.

انطلاقاً من هذه المنهجية القرآنية لأهمية الأسس العقدية في بناء الأمة ووعيها يرى العلواني أنه يمكن تجاوز المأزق المنهجي الذي تعانيه الأمة في المنطق المقاصدي من خلال التركيز على مقاصد القرآن العليا الحاكمة. يتعامل مع هذه المقاصد على أنها تجديدية قادرة على توليد الأحكام المناسبة للزمن الحاضر وغيره؛ حيث ينبغي - من وجهة نظر العلواني - أن يسعى لبنائه بالعدل والحق، وأن تُؤسّس حضارة ترتكز على القيم، وتُثمّنها، تبني ولا تُهدم، تحمي ولا تُهدد، تكون متوازنة ولا تبذّر، وقد حدد الدكتور طه جابر هذه المقاصد القرآنية الثلاثة: التوحيد، التزكية، والعمران.²⁹

أولاً: التوحيد

وهو كما فسّره العلواني حق الله على العباد وأساس فقه الدين والتدين. يتمثل في التمسك بالإيمان بوحداية الله والابتعاد عن الشرك. يشمل توحيد الله في كل جوانب الحياة والمناهج المختلفة. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۚ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (النحل: 36) حيث يرى العلواني أنه يُمكن البناء على التطبيقات التوحيدية والتقوى القرآنية في جميع جوانب الحياة من خلال السعي إلى بناء رؤية كلية تجمع بين التوحيد والرؤية الكونية بل تتجاوزها.

ثانياً: التزكية

وهي نتيجة مباشرة للتوحيد، حيث يمكن للإنسان الوفاء بالعهد الإلهي وتحمل الأمانة واجتياز اختبارات الابتلاء والعمل على تطوير النفس والبيئة المحيطة. وفيما يتعلق بمقصد التزكية، فإنه يُمكن معالجة الانحرافات الحضارية والمشكلات التي ولدتها بعض الجوانب الحضارية من خلال

²⁹ طه جابر العلواني، ابن رشد الحفيد: الفقيه الفيلسوف، (القاهرة: دار السلام، 2010م)، ط1، ص 37-38.

البحث عن الحلول المناسبة وإلقاء الضوء على بعض القضايا التي تحدث قلقاً متزايداً للإنسان، وتحدد الطبيعة والبيئة.

ثالثاً:

العمران يتعلق بتطوير وبناء العالم والاستفادة من الموارد والمساهمة في إعمار الأرض. تشمل أيضاً توجيه الجهود نحو السلام والتنمية المستدامة والعمل من أجل الخير والاستقامة. يقول تعالى: ﴿تَسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيفًا غَنُورًا﴾ (الإسراء: 44) يتمحور هذا المقصد حول فكرة الإحياء والتنمية، وكذلك حول مقاصد القرآن في تطوير وبناء العالم والاستفادة من الموارد والعمل نحو إعمار الأرض وتحسين الحياة بمنظور شرعي يتضمن العبادة والعمل الحضاري.³⁰

الفرع الثاني: الأسس المعرفية الكبرى المتعلقة بمفهوم الأمة عند العلواني

قدّم الدكتور طه جابر العلواني إسهامات بارزة في تأصيل المنهج المعرفي لمفهوم الأمة، مستنداً إلى المقاصد القرآنية والأسس العقدية وملامح الأمة الوسط، حيث ناقش المفاهيم والخصائص والأفكار بالنقد والتحليل والاجتهاد. ويعرض هذا البحث بُعدين مهمّين من رؤيته، كنموذج على جهوده في إعادة بناء وعي الأمة وتأصيل منهجها المعرفي.

- مفهوم المواطنة

المفهوم الأول الذي اعتنى به العلواني هو مفهوم المواطنة، والذي يُشير الدكتور العلواني إلى أنّه أصبح جزءاً من تحديات (الهوية) والمفاهيم المتعددة المرتبطة بها منذ تفاعلنا مع العالم الغربي في القرن السابق. هذا المفهوم نشأ بعد تطور فكرة (الدولة القومية) في أوروبا. على الرغم من تحول الدول العربية والإقليمية بعد انهيار الدولة العثمانية، إلا أن مسألة المواطنة لا تزال قضية حيّة

³⁰ طه جابر العلواني، بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن العليا (مقال). تاريخ الولوج: 03-03-2024.

على المستوى الفكري والثقافي. إذ تثير تساؤلات وتحديات مستمرة في المجتمع الإسلامي الحديث الذي ما زال يعتمد على مفهوم (الدار)³¹، في حين تنتشر مفاهيم الوطن والمواطنة كبديل له.

يرى العلواني أن مفهوم المواطنة في الدولة الحديثة يقوم على الانتماء الجغرافي وتنظيم الحقوق والواجبات ضمن إطار علماني دنيوي تحكمه المصلحة والنفع المشترك، بعيداً عن الانتماءات الدينية أو الثقافية. ويُطالب المواطنون بالتنازل عن خصوصياتهم لصالح هذا الإطار الموحد. وتحقق هذه المواطنة في ظل السيادة الليبرالية والعلمانية، التي يعتبر دعاؤها في العالم الإسلامي وجود الأقليات غير المسلمة تحدياً لمشروع الإسلاميين أو تيار الأصالة.³² ولذلك فقد وضع العلواني مجموعة من المحدّدات للتعامل مع مفهوم المواطنة انطلاقاً من ثوابت المشروع الحضاري الإسلامي:³³

1- ينبغي وضع ضوابط ومعايير دقيقة عند استعارة المفاهيم الحضارية المختلفة، حتى لا يتحول الإسلام إلى برنامج سياسي قومي أو إقليمي عوضاً عن رسالة عالمية، فاستعارة المفاهيم الحضارية من نسق حضاري مغاير يحمل جذوراً وأصولاً وثنية إغريقية ورومانية يجب أن تتم بحذر شديد. فهذه الاستعارة ليست مجرد ترجمة لمصطلحات أو مفاهيم ميكانيكية أو زراعية أو صناعية. إنما تشمل أيضاً أفكاراً متعلقة بالآلات والأدوات والمصطلحات، والتي تُؤدّي دوراً هاماً في التأثير على الفكر والحضارة. لذلك من الضروري أن ندرك أن استعارة المفاهيم لها تأثيرات كبيرة على الحياة الاجتماعية

³¹ طه جابر العلواني، حقوق المواطنة بين الإسلام والدولة الحديثة، (فرجينيا: جامعة قرطبة، 2009م)، ص 2-6.

³² طه جابر العلواني، حكم التجنس والإقامة في بلاد غير المسلمين (مقال)،. تاريخ الولوج: 03-03-2024.

<https://alwani.org/?p=6383>

³³ طه جابر العلواني، حول فكرة المواطنة في المجتمع الإسلامي، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997م)، ط2، ص4-6.

- والسياسية، وقد يؤدي استخدام هذه المفاهيم على نحو غير مناسب إلى تشويه فهم الأمور، وإلى تغيير مفاهيم مهمة مثل (المواطنة) و (الديمقراطية).
- 2- التوضيح بأن كلمة (مواطن) لم تُستعمل إلا بعد الثورة الفرنسية عام 1789م، وقبل ذلك، كانت الناس تُعرف بملل وشعوب وقبائل.
- 3- الليبرالية العلمانية الدنيوية تهدف إلى إذابة الفوارق والخصوصيات بين الناس، سواء كانت دينية، عنصرية أو إثنية حتى لا تعرقل مسيرتها. كما أنها تسعى لتحقيق نظم شاملة تستند إلى المصلحة واللذة والمنفعة الدنيوية عوضاً عن القيم الدينية والخلقية.
- 4- نصوص القرآن العظيم وسلوك الخلفاء الراشدين وقادة الصحابة والتابعين تشير إلى حرص الإسلام على حماية خصوصيات الأفراد الذين لم يعتنقوا الإسلام بعد، سواء كانت دينية أو عرقية. ويمنح الإسلام لهؤلاء الأفراد حقوقاً وحماية كاملة. بفضل هذا النهج، يتمكن غير المسلمين من ممارسة حريتهم في التفكير واتخاذ قراراتهم بشأن البقاء على ديانتهم أو اعتناق الإسلام بحرية تامة. ويشدد الإسلام على رفض أي إكراه في الدين، ويحمي حقوق الأقليات، ويدافع عن خصوصياتها بقوة. يُظهر هذا النهج أن الإسلام ينظر إلى البشر كجماعة واحدة تتنوع وتتعدد، وأن الخصوصيات المختلفة تُعدّ تنوعاً يجب أن يؤدي إلى التعارف والتفاهم دون تناقض أو صدام.
- 5- يجوز لعلماء المسلمين القيام بالاجتهاد في مختلف المجالات، بما في ذلك الاجتماعيات، للمساهمة في تطوير المشروع الحضاري الإسلامي. ومع ذلك، يجب أن يتم ذلك بحذر وتأن، مع احترام الأصول والمبادئ الإسلامية والالتزام بمنهج كلي. يجب ألا نقبل أفكاراً لا تتوافق مع الإسلام إلا إذا رُوجعت والتأكد من ملاءمتها للمبادئ الإسلامية وإثبات مشروعيتها بالحجة والبرهان. لا ينبغي التساهل في قبول أي اجتهاد يمكن أن يتعارض مع القيم والمبادئ الإسلامية. يجب على علماء المسلمين توضيح هذه النقاط، وأن أي اجتهاد يتعلق بالأمور السياسية لا يُلغي ما تم توثيقه من أحكام وفقه سابق،

بل يمكن أن يكون إضافة وتطويراً لها. ويجب أن يُعامل مع هذا الاجتهاد بحذر، لأنه يتعلق بقضايا قابلة للتغيير والتطور، ويمكن تصويبه وإعادة تقييمه.

6- تعتبر أحكام (أهل الذمة) وتقسيم العالم في النظرة الإسلامية من الأحكام التي تعرضت للسوء في الفهم، وانتشرت تفسيرات غير دقيقة لبعض النصوص قد أثرت في فهمها بشكل سلبي. في الماضي، تم تفسير بعض هذه الأحكام بشكل لا يتوافق مع الروح الإسلامية الحقيقية، وهذا أدى إلى تفسيرات خاطئة والتعامل مع الأقليات دون وجه حق. وفي الحاضر، تعرضت هذه الأحكام لسخط الليبرالية والعلمانية الدنيوية، وأُهمت بالتمييز والتجني. إذاً، يجب إعادة قراءة هذه الأحكام بعناية والاستفادة من التطورات الاجتماعية الحديثة. فقد يكون لهذه الأحكام دور إيجابي في تحقيق التوازن بين تطلعات الأفراد والمصلحة العامة، والحفاظ على التنوع الثقافي والديني، دون أن يؤدي إلى التمييز أو الاستبدال.

كما يؤكّد الدكتور العلواني إلى أنّ تصور الحرية في الليبرالية الغربية يعتبر خاطئاً، ولا يلبي احتياجات البشرية، وأنّه ينبغي توجيه الاعتراف بحقوق الإنسان بعناية وعدم التساهل في تجاهل حقوق الآخرين أو التعدي عليها. التوازن في المجتمعات الغربية قائم على التوازن المؤقت والقابل للتعرض للاهتزاز والقائم أساساً على طبيعة الشائيات الصراعية والجدلية، فعندما يكون هناك توازن، يكون ذلك بسبب وجود قوى متعادلة أو مصالح متعادلة، وليس بسبب تحقيق الحرية الحقيقية والعدالة. يمكن أن يؤدي هذا التوازن إلى انهيار في حالة الضغوط والاحتقان. الإسلام يقدم نموذجاً مختلفاً يقوم على احترام الخصوصيات وتقنينها دون التسبب في التمييز أو تحطيم الهوية الثقافية والدينية للأقليات. يمكن أن يكون هذا النموذج مثلاً لتحقيق التوازن بين التنوع والمصلحة العامة دون تهديد الاندماج الثقافي.³⁴

³⁴ المرجع السابق، ص 7-8.

يُقرّر العلواني في كتاباته ومحاضراته حول موضوع المواطنة عن قدرات وإمكانات الإسلام الذاتية في تطبيق نظام (أهل الذمة) بشكل صحيح وعادل، وأنه يمكن أن يكون حلاً للعديد من التحديات التي تواجه المجتمعات المعاصرة. كما يُمكن لهذا النظام العادل أن يكون له دور في حفظ التنوع الثقافي والديني دون التسبب في الاندماج الثقافي القسري. وهو - العلواني - يُحيل القارئ دوماً لقراءة فصول التاريخ الإسلامي على مر القرون التي يُمكن من خلال أن يُشاهد كيف نجحت الأقليات في العالم الإسلامي في الحفاظ على هويتها والمساهمة في مجتمعاتها بفضل هذا النظام الذي قن لها خصائصها وحمى تنوعها. في المقابل، في الغرب، سيجد القارئ - وفق العلواني - بعض الأقليات التي فقدت هويتها وتميزها تحت تأثير الليبرالية والعلمانية الدنيوية.

- الإسلام ومفهوم التعايش السلمي مع الآخر

الموضوع الثاني الذي تناوله الدكتور العلواني في تأصيله لمفهوم الأمة هو "الإسلام والآخر"، حيث ناقش مفاهيم التعددية، والعالمية، والخصوصيات، والرحمة، وغير ذلك، في كتابه الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر. وقد عالج هذه القضايا فقهياً ومعرفياً ومنهجياً، مقدماً رؤية منهجية تعكس دور الإسلام والأمة في أداء رسالتها العالمية، كما أوضح ذلك عبد الجبار الرفاعي في تقديمه للكتاب: "مما لا شك فيه أن الإسلام اليوم يُقدّم إلى أهله ولغير أهله، بشكل لا يتناسب وعظمته وقدرته، وذلك من خلال فقهاء التراث والفقهاء الموروثة، الذي مثل محاولات فقهاءنا في التاريخ معالجة مشكلات مجتمعاتهم الزراعية البسيطة، أو الرعوية، أو ذات التجارة الفردية المعتمدة على التبادل البسيط للمنافع في تلك المجتمعات. لكن حين يراد لهذا التراث، وهذا الفقه أن يستجيب لحاجات معقدة لمثل هذا النوع من المجتمعات المعاصرة أو اقتصادياتها، فإننا نكلفه ما لا يطيق. وفي الوقت نفسه نكلف أولئك الفقهاء، ونضع في عقولهم، وعلى ألسنتهم معالجات مفتعلة لقضايا ما عرفوها، ولم يفكروا أو يجتهدوا فيها، فهي مسائل وعلاقات لم تكن في زمانهم. وكيف يقدمون حلولاً لمشاكل لم تخطر

ببالمهم؟ والقول سوف ينعكس على الإسلام وعالميته انعكاساً سلبياً، فلا ينفي عنه عالميته فحسب، بل يظهره بأنه دين لا يصلح إلاّ لمجتمعات قروية ورعوية بسيطة، أو لمجتمعات بادية³⁵، ومن أهم تلك المفاهيم الفرعية التي ناقشها الدكتور العلواني في سياق تحليله لموقف الأمة الإسلامية من التعايش السلمي مع الآخر، التالي:

● عالمية الإسلام

فقد وضّح الدكتور طه جابر العلواني في كتابه المذكور آنفاً أهمية تبين وتحليل عالمية الرسالة في إطار مركزية الحضارة الإسلامية، ودور الأمة المرتقب، والتي يُمكن لها أن تبني قواعد عالمية المنهج والهدي لاستيعاب التحديات العالمية، وقابلية معرفية لاحتواء الأعراق والأقليات والقوميات ضمن إطار الأمة الواسع، فيقول الدكتور العلواني في ذلك: "لإنقاذ البشرية من أزمتها لا بد من عالمية الإسلام التي أسسها القرآن المجيد الذي أكد على وحدة الإنسانية، وأكد على وحدة الأرض مسكناً وموطناً لبني آدم كما أكد على مجموعة من المقاصد الشرعية العليا والقيم التي تحكم سائر العلاقات الإنسانية، ويمكنها أن توجه السلوك الإنساني، نحو الاستقامة، متمثلة في قيم التأسيس: وهي التوحيد التركية العمران والتي تستند إليها جملة المقاصد الأخرى التي تقوم عليها قواعد العالمية وهي: العدل، الحرّية والمساواة".³⁶

وقد عبّر عن هذه القواعد والخصائص فقال: "وخصائص العالمية ظاهرة في القرآن الكريم، وفي صيرورة التاريخ الإسلامي، وإن كانت لم تتحول إلى منهج بعد، وهي خصائص يشد بعضها بعضاً، وتدلل كل خاصية على الأخرى، إذا رتبت ذهنياً ومعرفياً"³⁷، وقد رتبها العلواني في كتابه (الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر) على النحو التالي:³⁸

³⁵ العلواني، الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي، ص 6.

³⁶ المرجع السابق، ص 65.

³⁷ العلواني، الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، ص 45.

³⁸ العلواني، الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي، ص 64.

- لكي يكون الخطاب عالمياً كان لا بد من ختم النبوة، وذلك لتوحيد المرجعية، فلا تتعدد النبوات التالية، ويحدث النسخ والتعارض والاختلاف.
- لا بد من تحرير القرآن من خصوصية بيئة النزول، ولهذا أعيد ترتيب مواقع آيات القرآن توقيفا على ידי رسول الله ﷺ قبل التحاقه بالرفيق الأعلى.
- لا بد من نسخ الشرائع ذات الخصوصيات الحصرية لشعوب وقبائل محددة، وهي شرائع إصر وأغلال، لتبدل بشرائع القرآن التي تتفق مع حاجات المجتمعات العالمية كافة، بحيث تحمل قابلية الشمول والعموم، ولتكون مشتركة وقابلة للتطبيق في كل أنحاء العالم وهي شرائع الحدود الدنيا القائمة على التخفيف والرحمة، وضبط حركة الإنسان في دائرة الأمانة والاستخلاف والعمران والابتلاء.
- لا بد أن تتضمن النصوص اللغوية المحدودة، معاني اكتشاف منهجية القرآن المعرفية، وضمن عبر إطلاقيه تكتشف وحدته العضوية.
- وعند الانطلاق من هذه المسلمات العقيدية بوصفها (فرضيات) علمية موضوعية، تؤكد في ترابطها على عالميّة الخطاب الإسلامي، سنكتشف أن قدراً منها من البديهيّات مثال ختم النبوة، وشرعة التخفيف، والرحمة وحاكمية الكتاب المطلق.

● الإنسانية بين الخصوصيات والعالميات

ومن بين أهم ما اعتنى به الدكتور العلواني في هذا السياق مفهوم الإنسانية التي تنطلق من عالميّة الإسلام، والتي يذهب العلواني إلى أنّها ليست عالمية تعصب، أو دعوة تنطلق من خصوصية جغرافية أو بشرية لمواجهة العالميّة الغربية، بل إنّها عالميّة الرحمة والتخفيف لعموم البشر دون تمييز، القائمة على القيم الحاكمة للأمم، والمقاصد الكلّية للإسلام، ويتضح ذلك من: ³⁹

³⁹ العلواني، الخصوصية والعالمية ص 79-80، العلواني، الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، ص 131.

- 1- أُنْهَما عالمية يهيئ لها الله العليم الخبير على علم منه، لتشمل العالم كله، لأنّ العالم يفتقر إليها لتجاوز أزماته التي تراكمت نتيجة لفشل النسق الحضاري الغربي.
 - 2- أُنْهَما القدرة على القضاء على القلق الغربي، وتعديل المسار، والأمة الإسلامية لن تستطيع أن تجد سبيلاً لخلاصها إلا في حمل هذه العالمية، وتبنيها وعلى العقل المسلم أن يكون قادراً على استخدام الخطاب المناسب لهذا العصر. وليدرك المسلمون والعالم ما يمكن أن يقدمه القرآن والإسلام لعالم اليوم.
 - 3- أُنْهَما عالمية منتظرة وحتمية الوقوع، والتي قد تنهض بها الأمة الإسلامية، وقد ينهض بها غيرها إذا تقاعسوا، وعندما نبدأ العمل لها منذ الآن، فإنّ فعلنا ذلك يشكل التزاماً بمسؤولية الاستخلاف ومسؤولية الشهادة على الناس، وقياماً بواجبنا تجاه البشرية النابع من الالتزام بمسؤولياتنا أمام الله تعالى، وفي ذلك حريتنا.
- يُشير الدكتور العلواني إلى مُفردة مهمّة تكرّرت في كثير ممّا كتب في هذا الإطار، وهي مسألة ظهور العالمية الإسلامية الأولى⁴⁰ كرد فعل معتدل وحرّ مقابل العمليات الإغريقية والرومانية المستبدة. وقامت بذلك من خلال تبني الإسلام لأخلاقيات تحدّ من العدوان والفساد في الأرض، وبالالتزام بكتاب ربّاني يوجه السلوك والعمل. هذا النهج الإسلامي أسس أصلاً لأوّل عالمية بناءً على مفهوم عدم الإكراه في الدين. تاريخياً، كان هناك تحدي بين العالمية الإسلامية والعالم الغربي الأوروبي، الذي نظر إلى نفسه على أنه وارث العالمية الهيلينية التي امتصت حضارات شرق البحر الأبيض المتوسط. ولقد حاول الغرب الحفاظ على هذه الوراثة والتميز عبر التاريخ. ومن الجدير بالذكر أنّ العالم الإسلامي القديم لم يستعبد شعوب الأماكن التي انضمت إلى الإسلام، ولم يبن المدن الإسلامية على يد عبيد كما فعلت الحضارات

⁴⁰ وقد بشّر بالعالمية الثانية المنتظرة المفكر الإسلامي السوداني أبو القاسم حاج حمد في كتابه: العالمية الإسلامية الثانية (دار ابن حزم، 1979م).

● التعددية

⁴² غريغورا مرشو، *مقدمات الاستتباع الغربي*، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996م)، ص48.

الحزبية والطائفية، وارتقت إلى مستوى الوعي بأزمة الأمة وحقيقة مشكلاتها المفاهيم، وامتلكت قدرة ما على تقديم الإجابات المناسبة عليها".⁴³ وقد وضع العلواني مجموعة من الأسس المعرفية للتعامل مع التعددية منها على سبيل المثال لا الحصر:

1. عدم امتلاك أي فرد أو جماعة بشرية حق ادعاء امتلاك الحقيقة الكاملة، بل هي لله تعالى وحده الذي أحاط كل شيء علماً. أمّا إدراك الناس للحقيقة فلا شك في تعدديته ونسبيته.
2. وسيلة التدافع بين البشر إنما هي بالحوار والتعارف والاحترام والفهم ثم بالإقناع واتخاذ المواقف.
3. تعدد إدراك البشر للحقيقة يعني تعدد الرؤى وتنوع المصادر والمراجع والأنساق المعرفية.
4. أنّ التنوع البشري في الأمور الفطرية يستدعي تنوعاً على صعيد الاختيارات الدينية والسياسية والتعليمية ونحوها.
5. أنّ التركيز على التعددية السياسية أوجد مزيداً من الاضطراب والتجزئة في العالم العربي؛ نظراً لمشروع التفكيك الثقافي والاجتماعي الجاري الذي يهدف لإعادة تركيبه وفق متطلبات النظام العالمي الجديد.

إذاً ما اختيار العلواني الإسلامي؟ يختار العلواني مصطلح (التنوعية) والتي لها جذورها العربية والإسلامية القائم على فلسفة عميقة مفادها أنّ الله تعالى خلق الكون متنوعاً، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿ (الروم: 32). ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (الشورى: 8). ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 99).

⁴³ زكي الميلاد، ندوة التعددية الحزبية والطائفية العرقية في العالم العربي، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1993م).

فهو تنوع قائم على التعارف ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ (الحجرات: 13). يقول العلواني في ذلك: "والتعارف يقابل التناكر، قال تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (يوسف: 78)، والتعارف يؤدي إلى التآلف كما يؤدي التناكر إلى التخالف والاختلاف، وفي الحديث: "الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف".⁴⁴

فالتنوع يؤدي إلى التعارف والتعارف يؤدي إلى التآلف والتآلف يؤدي إلى التآخي والتآخي يؤدي إلى التعاون على الفعل الحضاري الموصوف بالبر والتقوى، وفي مقدمة ذلك البر العمل على إيجاد (الأمة القطب). إن هذه المداخل كانت الدعائم الأساسية التي قام عليها بناء أمتنا على يدي رسول الله، حين اعتصموا بحبل الله، فألف الله بين قلوبهم: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: 103)، فمن منطلق التأليف وبناء قواعد العروة الوثقى على العقيدة والمنهاج والشرعية وجدت الأمة الوسط (الأمة القطب) لتقوم بالشهادة على الناس نواة لعالمية كونية شاملة تؤلف بين البشر كلهم في إطار من الهدى ودين الحق، ومن هنا فإن العواصم الحضارية لهذه الأمة لم ترتبط ببعد جغرافي محدد، بل تعددت المراكز الحضارية مع امتداد الأمة، وتداولت حمل راية التعبير عن وجودها واستمرارها كظاهرة حياتية متجددة سائر العناصر التي انتمت إليها".⁴⁵

⁴⁴ الحديث متفق عليه بين البخاري ومسلم.

⁴⁵ زكي، ندوة التعددية الحزبية والطائفية العرقية في العالم العربي، ص 17-18.

خاتمة

ومع ختام هذه الدراسة التي تسلط الضوء على رؤية الدكتور طه جابر العلواني لمفهوم الأمة، بوصفه تصوّرًا عقديًا ومعرفيًا ومنهجيًا تجديديًا يستند إلى المقاصد القرآنية والمبادئ الإسلامية الكبرى كالتوحيد والتزكية وال عمران. يرى العلواني أن الأمة الإسلامية، التي شكّلها القرآن، ينبغي أن تكون نموذجًا حضاريًا إنسانيًا عالميًا، تُفعل قدراتها الداخلية عبر استعادة الوعي واستيعاب التحديات المعاصرة. يسعى العلواني لإعادة بناء المفاهيم والمناهج الضرورية لنهضة الأمة، مركزًا على مفاهيم التعارف والتعاون والعدل والحرية والاستخلاف، باعتبارها ركائز للوحدة الإنسانية. وقدّم مشروعه لبناء الأمة أدوات معرفية ومنهجية لتحليل واقعها وتجاوز أزمتها، مشجّعًا على التفكير النقدي والتجديد، وتعزيز دور الأمة في صياغة المستقبل. كما طرح قواعد لفهم التاريخ والتراث بمنهجية قرآنية، تؤصل للتعايش والتنوع والتكامل، ودمج بين العقلانية والرؤية الإسلامية للتعامل مع التحديات وتحقيق الرسالة الكونية للأمة.

كما آمن الدكتور العلواني أنّ أزمة الأمة الأساسية هي أزمة فكرية، وأنّ عملية بناء الوعي في الأمة يتّصل اتصالاً وثيقاً بالعلم، وأن الأمة تكتسب من عناصر القوة ومصادرها بقدر ما تكتسب من العلم. وأنه إذا كان الله -تبارك وتعالى- قد فرض بالدليل القطعي من القرآن على الأمة الأخذ بسائر أسباب القوة المادية والمعنوية بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال: 60)؛ فإن ذلك فريضة محكمة وقانون إلهي وكوني لا يمكن للإنسان أن يتدين به، ويطبقه من دون العلم. ثم إنّ هذا الوعي سيقود لفهم أهمية الإنسان عقلاً ونفساً وجسماً، وهنا تُشغّل مجموعات هائلة من القواعد القرآنية والسيرة النبوية العطرة والسنن الثابتة لبناء الإنسان السوي الذي يصلح أن يكون لبنة صالحة سليمة قوية في بناء الأمة. فمن هو المؤمن القوي الذي فضله رسول الله -ﷺ- على المؤمن الضعيف، إنه القوي الأمين الغني القادر على أن يسد احتياجاته، وينفق على نفسه، وسواه سرا وجهراً.

في نهاية المطاف، يبقى إرث الدكتور العلواني -رحمه الله- تحفيزاً للعقول المسلمة للبحث والتفكير، ودافعاً لنهضة الأمة. وكما قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11)، يبقى العمل على تغيير الذات وتحسين الفهم والتفكير هو السبيل نحو إحداث التحول الإيجابي في مستقبل الأمة، وبناء على هذه الخلاصات الجامعة، فإننا نقترح التوصيات الآتية:

1. تشجيع المفكرين والعلماء على استمرار تفعيل الأسس العقديّة والمعرفية التي وضعها الدكتور العلواني كالتوحيد والتزكية والعمران، من خلال توجيه الاهتمام لفهمها وتبنيها في التحليل الفكري والتفكير الإسلامي المعاصر.
2. دعم البحوث والدراسات التي تتناول مفهوم الأمة في الفكر الإسلامي وتحليل الإشكاليات التي يثيرها، مع التركيز على التنوع والتعايش السلمي ومفهوم المواطنة والتألف والتفاهم.
3. تعزيز التواصل بين العلماء والباحثين في مجال الفكر الإسلامي لتبادل الآراء والخبرات حول مسائل إعادة بناء الوعي وتطوير الأمة.
4. تطوير المناهج التعليمية لتظهر المنهج الفكري الذي قدّمه الدكتور العلواني، وتشجيع الطلاب على التفكير النقدي واستيعاب القيم العقديّة والمعرفية.
5. دعم مبادرات التنوع الفكري والتعايش السلمي في المجتمع الإسلامي، مع تعزيز إدراك مفهوم الأمة بمنظور يساهم في بناء مستقبل واعٍ ومتقدم.
6. اقتراح تأسيس كرسي طه جابر العلواني للدراسات والبحوث الفكرية والمقاصدية، يتخصّص في التكوين والبحث الفكري والمقاصدي، ويهدف لتقديم الخبرة في مجال بناء الوعي والفكر والأمة.

المصادر والمراجع:

al-Qur'ān al-Karīm.

Abū al-Faḍl, Muná. al-Ummah al-Quṭb: Naḥwa Ta'sīl Manhajī li-Mafhūm al-Ummah fī al-Islām. Cairo: Maktabat al-Shurūq al-Duwaliyyah, 1st ed., 2005.

Abū Ḥilwah, Ibrāhīm Salīm. Ṭāhā Jābir al-'Alwānī: Tajalliyāt al-Tajdīd fī Mashrū'ihī al-Fikrī. Beirut: Markaz al-Ḥaḍārah li-Tanmiya al-Fikr al-Islāmī, 1st ed., 2011.

al-Aṣfahānī, al-Rāghib. al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān, ed. Sayyid Kilānī. Beirut: Dār al-Ma'rifah, 2008.

al-Badrī, Tawfīq. Mafhūm al-Ummah wa Awsāfuhā fī al-Qur'ān, Islamiyyat al-Ma'rifah, No. 94, International Institute of Islamic Thought, 2017.

al-Ibrāhīmī, Muḥammad al-Bashīr. 'Uyūn al-Baṣā'ir. Algeria: al-Sharikah al-Waṭaniyyah li-l-Nashr wa al-Tawzī', Vol. 2, 1997.

al-Kafawī, Abū al-Baqā'. al-Kulliyyāt. Beirut: Mu'assasat al-Risālah Nāshirūn, 1998.

al-Mawdūdī, Abū al-A'lā. al-Dustūr al-Islāmī. Beirut: Mu'assasat al-Risālah, 1st ed., 1975.

al-Mīlād, Zakī. al-Ta'addudiyyah al-Ḥizbiyyah wa al-Ṭā'ifiyyah al-'Irqiyyah fī al-'Ālam al-'Arabī (Conference), Washington: International Institute of Islamic Thought, 1993.

al-'Alwānī, Ṭāhā Jābir. al-Azmah al-Fikriyyah wa Manāhij al-Taghyīr. Beirut: Dār al-Hādī, 1st ed., 2003.

al-'Alwānī, Ṭāhā Jābir. al-Khuṣūṣiyyah wa al-'Ālamiyyah fī al-Fikr al-Islāmī al-Mu'āṣir. Beirut: Dār al-Hādī, 1st ed., 2003.

al-'Alwānī, Ṭāhā Jābir. al-Ummah al-Islāmiyyah wa Qdāyāhā al-Istrātijiyyah (Lecture). al-'Alwānī Digital Library, December 29, 1990.

al-'Alwānī, Ṭāhā Jābir. Bayna Maqāṣid al-Sharī'ah wa Maqāṣid al-Qur'ān al-'Ulyā (Online Article), Accessed March 3, 2024. <https://alwani.org/?p=3502>

al-'Alwānī, Ṭāhā Jābir. Hawla Fikrat al-Muwāṭanah fī al-Mujtama' al-Islāmī. Virginia: International Institute of Islamic Thought, 2nd ed., 1997.

al-'Alwānī, Ṭāhā Jābir. Ḥukūq al-Muwāṭanah bayn al-Islām wa al-Dawlah al-Ḥadīthah. Virginia: Cordoba University, 2009.

al-'Alwānī, Ṭāhā Jābir. Ibn Rushd al-Ḥafīd: al-Faqīh al-Faylasūf. Cairo: Dār al-Salām, 1st ed., 2010.

al-'Alwānī, Ṭāhā Jābir. Ishkāliyyat al-Ta'āmu l ma' al-Sunnah al-Nabawiyyah. Virginia: International Institute of Islamic Thought, 2014.

al-'Alwānī, Ṭāhā Jābir. Min Adab al-Ikhtilāf ilā Nabdh al-Khilāf. Virginia: International Institute of Islamic Thought, 2017.

al-'Alwānī, Ṭāhā Jābir. Muqaddimah fī Islāmiyyat al-Ma'rifah. Beirut: Dār al-Hādī, 2001.

al-'Alwānī, Ṭāhā Jābir. Tafakkuk Mafhūm al-Ummah wa Ḍarūrat al-Murāja'ah (Online Article), Accessed March 3, 2024. <https://alwani.org/?p=10194>

al-'Alwānī, Ṭāhā Jābir. Ḥukm al-Tajannus wa al-Iqāmah fī Bilād Ghayr al-Muslimīn (Online Article), Accessed March 3, 2024. <https://alwani.org/?p=6383>

Barghouth, 'Abd al-'Azīz. al-Shuhūd al-Ḥadārī li-l-Ummah al-Wasaṭ fī 'Aṣr al-'Awlamah. Kuwait: Ministry of Awqāf and Islamic Affairs, Rawāfid Series, 1st ed., 2007.

Ibn Manẓūr, Jamāl al-Dīn Abū al-Faḍl. Lisān al-'Arab. Beirut: Dār Ṣādir, Vol. 1, 1956.

Ibrāhīm al-Bayūmī, Ghānim, al-Qaffāsh, Usāmah Muḥammad, 'Umar, al-Sayyid, 'Abd al-Ḥaqq, Ṣalāḥ Ismā'īl, 'Ārif, Naṣr Muḥammad, and Ja'far, Hishām Aḥmad. Binā' al-Mafāhīm: Dirāsah Ma'rifiyyah wa Namādhij Taṭbīqiyyah. Cairo: al-Ma'had al-'Ālamī li-l-Fikr al-Islāmī, 1st ed., 1998.

Nāṣīf, Naṣṣār. Taṣawwūrāt al-Ummah al-Mu‘āṣirah: Dirāsah Taḥlīliyyah li-Mafāhīm al-Ummah fī al-Fikr al-Ḥadīth wa al-Mu‘āṣir. Kuwait: Kuwait Foundation for the Advancement of Sciences, 1986.

Ṣāfī, Lu‘ay. al-‘Aqīdah wa al-Siyāsah. Washington: International Institute of Islamic Thought, 1st ed., 1996.

‘Imārah, Muḥammad. al-Ummah al-‘Arabiyyah wa Qadiyyat al-Wiḥdah. Beirut: Dār al-Wiḥdah, 3rd ed., 1981.